المثل القرآني والاستعارة التمثيلية:

تعقيب على ما ورد في كتاب جهود العلماء للدكتور أحمد حمد محسن الجبوري.

م.د. الدكتور طارق أمين ساجر الرفاعي

كلية الآداب – الجامعة العراقية

الخلاصة:

يتعلق الموضوع بتأليف الاستعارة التمثيلية من المثل القرآني ، إذا أجمع العلماء بشكل عام على الإتيان بالمثل الذي لا يجوز التلاعب بنصِّه ؛ وضربه عند وقوع حادثة أو افتراضها مشابهة لمورده ؛ للاستغناء بذلك عن كلام كثير يعبِّر عنه ذلك المثل كإستعارة تمثيلية. وخرج الدكتور أحمد الجبوري عن ذلك الإجماع بوجوب أن تكون الحادثة قد حصلت فعلاً وإلا ّ فلا يمكن أن يُؤتى بالمثل كاستعارة تمثيلية عند افتراض تلك الحادثة ؛ دون أن يقدم دليلاً مسوغاً لذلك ، وفي هذا تقييد وتعجيز لمضمون المثل ودلالاته التي يحتاجها الموجِّهون والعلماء لنشر فضائل الدين ومقاصده ، فأتيت بالأدلة من المصادر المطبوعة والمخطوطة التي تدفع ذلك الحرج الذي ألزم الدكتور أحمد الجبوري نفسه به ، ومن الله التوفيق.

Abstract:

This subject is concerned with writing the indirect metaphor from the Quranic Proverb.

In general , the scholars agreed among themselves to bring the proverb which its context couldn't be changed and which is to be mentioned when something occurs or we presume and it is similar to its cause replace much speech needed by the use of this proverb as an indirect metaphor.

As viewed by Dr. Ahmed Al-Juboory , to give the indirect metaphor something should happen in reality to be able to give the proverb without giving any reason to justify that.

This is considered a sort of restriction to the mentioning of proverbs. I quoted the evidences from references which support opinions concerning this viewpoint.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنجز الاستاذ الفاضل الدكتور أحمد الجبوري بحثا في الاستعارة المفردة والتمثيلية في كتابه الموسوم (جهود العلماء القدماء والمحدثين في تحديد مصطلح الاستعارة المفردة والتمثيلية في القرآن الكريم) وأورد آراء العلماء في تطوير المصطلح البلاغي ودلالاته والأفكار المحيطة به ، واختصر بذلك مشكوراً الجهد على الباحثين عند الخوض في هذا المضمار ، وفي مضمون البحث اختلف مع ما يلامس اجماعهم في الاستعارة التمثيلية القرآنية ، ولغرض إلقاء الضوء على هذا الموضوع سأستعرض ما ساقه الدكتور أحمد من آراء العلماء وأحدد ما خرج به عليهم وأبيِّن آراء علماء البلاغة في ذلك .

أما آراء العلماء التي ساقها الأستاذ الدكتور أحمد الجبوري في الاستعارة التمثيلية فهي قوله :

١. عبد القاهر الجُرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

يعدّ أول من مازَ بين الاستعارة المفردة والاستعارة التمثيلية بقوله: ((وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حدّ الاستعارة ، فمثاله: قولك للرجل يتردَّد في الشيء بين فعله وتركه: (أراك تقدِّمُ رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخْرى) فالأصل في هذا: أراك في ترددك كمن يقدّم رجْلاً ويُؤخِّر أُخرى ، ثم اختُصِر الكلام وجُعل كأنَّه يُقَدِّم الرِّجْل ويؤخِّرُها على الحقيقة ، كما كان الاصل في قولك: رأيت أسداً: رأيت رجلاً كالأسد ، ثم جُعل كأنه الأسد على الحقيقة))[١] وتكررت عنده المقارنة بين نوعي الاستعارة (المفردة والمركبة)، فقد ذكر أنه إذا ثبت أن الاستعارة ليست نقل الاسم ولكن ادعاء معنى الاسم[٢]، قال: ((فاعلم أن حكم التمثيل في ذلك حكمهما ، بل الامر في التمثيل أظهر))[٣] ثم أورد مجموعة أمثال ليبرز هذا المعنى وهو أن (الاستعارة التمثيلية) مبناها على المشابهة بين مضرب المثل وحادثة جديدة مشابهة لمورده ، قال: ((فإذا قلنا في قول النبي (ﷺ): ((إيّاكم وخضراء الدمن))، أنه (ﷺ) ضرب عبارة خضراء الدمن مثلاً للمرأة الحسناء في منبت السوء ، لم يكن المعنى انه (ﷺ) ضرب عبارة (خضراء الدمن) مثلاً لها ... ولكنه معنىً يستدل بمعنى اللفظ عليه ويُستنبط منه))[٤].

٢. فخرالدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) :

عقد في كتابه نهاية الإيجاز فصلاً بعنوان (التمثيل) فقال : ((إن العلماء قد خصّوا التمثيل المنتزع من اجتماع أُمور يتقيد البعض بالبعض باسم التمثيل ... فقد يكون ذلك التمثيل على حد الاستعارة كقولهم لمن يتردد في الامر : أراك تقدِّمُ رجلاً وتؤخر أُخرى، والأصل: أراك في ترددك كمن يقدِّم رجلاً ويؤخر أُخرى))[٥] ، وقال في فصل (المثل): تشبيه سائر، وتفسير السائر: أنه يكثر استعماله ، على معنى أن الثاني بمنزله الأول، والأمثال لا تُغيَّرُ لأن ذكرها على تقدير أنْ يقال في الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول، فالأمثالُ كلُّها حكايات لا تُغيَّرُ))[٦].

٣. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ):

ذكر الدكتور أحمد أن الاستعارة المركبة (التمثيلية) تقوم على استخدام الأمثال، إذ يستعار المثل المضروب لحادثة قديمة فيستخدم مرة أخرى في حادثة جديده مشابهة لمورد ذلك المثل ، فيستعار بنصه ، وهذا ما أكَّده السكاكي بقوله: ((وهذا نسميه التمثيل على سبيل الإستعارة ، ولكون الأمثال كلها تمثيلات على سبيل الإستعارة لا يجد التغيير إليها سبيلاً))[٧].

٤. جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن احمد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ):

أشاد بجهوده المتميّزة بإفراده للاستعارة التمثيلية مكاناً خاصاً بتسميتها (المجاز المركب) وعرّفها بقوله: ((وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل في ما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه ، أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأُخرى ، ثم تدخل المشبَّهَة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ؛ فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه))[٨].

وذكر ردّ القزويني على السكاكي الذي عدَّ الإستعارة المركبة (التمثيلية) من الإستعارة المفردة بقوله: ((وعدَّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها. وفيه نظر؛ لان التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلاّ مركباً ، فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد ؟!))[٩] .

٥. شرف الدين الطيببي (ت ٧٤٣ هـ):

ذكر أن الطيببي سار على منهجي السكاكي والقزويني ، وعقد عنواناً خاصاً للاستعارة المركبة (التمثيلية) ميّز فيه بين المثل والتمثيل[١٠] .

ثم بيّن الدكتور أحمد الجبوري أن المعول عليه عند المتأخرين من علماء البلاغة هو ما ذهب اليه العلماء الأوائل كعبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني ومن اقتفى اثرهم[١١] .

_ الفرق بين المثل والاستعارة التمثيلية في مصطلح علماء البلاغة والادب :[١٢]

بين الدكتور أحمد تحت هذا العنوان : أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي جرت مجرى المثل ، وكذلك الحديث النبوي الشريف ، وكذلك كلام العرب ، وذكر أن الفرق بين المثل والاستعارة التمثيلية ، (المثل) في اصطلاح علماء الأدب والنقد هو: ((القولُ السائر المُمَثَّلُ بمضربه))[١٣] ، بينما (الاستعارة التمثيلية) في اصطلاح علماء البلاغة هي : مثل شُبِّهت حالة مَضْرَبِهِ بحالةِ مَوْرِدِه ، أي : ((تشبيه الصورة المنتزعة من حالةِ المشبَّه بالصورة المنتزعة من الحالة التي كان عليها المشبه به))[١٤]

وأما المثل في القرآن الكريم فهو : ((الكلام الذي يُقصدُ به تصوير حالة أو واقعة أو شخص لإتعاظ القارئين أو السامعين بالصورة التي صوَّرها لهم ، أو لإيناسهم بها سواء طال الكلام أم قصُرَ ، شاع وفشا أم بقي في لوحته اللامعةِ مكتوباً محفوظاً))[١٥].

وختم ذلك بقوله: ((فلا يكون المثل (استعارة تمثيلية) إلاّ أن يُستعار لحادثة جديدة مشابهة لمورده)) [١٦].

أورد الدكتور أحمد عدداً من الآيات القرآنية التي جرت مجرى المثل فقال:((وعلى هذا يمكن أن تؤخذ بقية الآيات التي جرت مجرى المثل، فتستعار من موضعها في القرآن الكريم ، وتُضرب مثلاً لما يناسبها ويشابه معناها من الحوادث الجديدة وحينئذ –فقط– يمكن تسمية المثل القرآني (استعارة تمثيلية) ، أما إذا لم توجد حادثة جديدة معناها مشابه لمعنى المثل القرآني ولم تحصل استعارة له فإن التعبير القرآني يبقى في مكانه تركيباً جارياً مجرى المثل ، ويمكن إطلاق اسم (المثل) عليه لمشابهته للمثل في النظم والتركيب والتصوير ؛ وبناء على هذا فالقرآن الكريم لا توجد فيه (استعارة تمثيلية)، أي:(استعارة مركبة)))[١٧].

وأورد أمثالاً من الأحاديث النبوية وقال بعد تحليل أحدها مفترضاً حالة تناسبه : ((وعلى هذا يمكن ان تستعار بقية الأحاديث التي جرت مجرى المثل في تركيبها ويطلق عليها لقب (الإستعارة التمثيلية) عندما توجد حادثة جديدة معناها مشابه لمعنى المثل النبوي ، فإن لم توجد حادثة جديدة ... فيصح إطلاق إسم (المثل) عليه فحسب))[١٨] .

وأورد عدداً من أمثال العرب السائرة وبعد تحليل بعضها قال : ((المثل تركيب مضروب لحوادث قديمة ، ولا يُعدُّ ذلك المثل (استعارة تمثيلية)إلاّ ان توجد حادثة جديدة ومعناها مشابهٌ لمورد ذلك المثل))[١٩].

وخلص الدكتور أحمد في آخر بحثه الى القول: ((مما تقدَم يتعين أن التركيب الجاري مجرى المثل آية من الكتاب العزيز أو حديثاً نبوياً أو بيتاً من الشعر أو مثلاً من أمثال العرب يمكن استعارته وضربه مثلاً لحادثة جديدة مشابهة لمورد المثل في الأصل ، ويسمى حينئذٍ (استعارة تمثيلية) كما قال علماء البلاغة: ((كل استعارة تمثيلية مثلٌ وليس كل مثل استعارة تمثيلية))....... وبناء على هذا فالقرآن الكريم يخلو من (الاستعارة التمثيلية) وهكذا الحال في الأمثال النبوية ، وأمثال العرب السائرة عند انتفاء حدوث واقعة جديدة تناسبها))[٢٠]. على حد قوله.

وتعقيباً على ما تقدم يمكن أن نبين الآتي:

١–الاستعارة: كما ذكر الامام عبدالقاهر الجُرجاني (ت٤٧١هـ) أنها :ليست نقل الاسم ولكن ادعاء معنى الاسم[٢١].....)) بمعنى أن المستعار : معنى المشبه به ؛ أي : (المثل).

اما الرازي (ت٦٠٦هـ) فقال: ((المثل تشبيه سائر وتفسير السائر إنه يكثر استعماله على معنى أن الثاني بمنزلة الاول، والأمثال لا تغيَّر لأن ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول ، فالأمثال كلها حكايات لا تغيَّر))[٢٢]

والى هذا ذهب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بقوله: ((وهذا نسميه التمثيل على سبيل الاستعارة، ولكون الأمثال كلها تمثيلات على سبيل الاستعارة لايجد التغيير اليها سبيلاً))[٢٣].

وزاد القزويني (ت٧٣٩هـ) هذه المعاني وضوحاً بقوله: ((وأما المجاز المركب : فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبَّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي : تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تُدخِل المشبّه في جنس المشبّه بها مبالغة في التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه)).[٢٤]

إن التحديد الذي ذهب اليه الدكتور أحمد الذي قيّد به المثل القرآني بحدوث الواقعة التي تناسبه فعلاً حتى يمكن أن يتحول الى (استعارة تمثيلية) لم يسبقه اليه أحد على حد علمي ، ولم يكن على قاعدة رصينة يمكن أن تكون سبباً في تطوير الدرس البلاغي، ولا مما تنازعه علماء البلاغة السابقين بالبحث أو اختلفوا عليه في التحليل؛ إذ لم يتقيدوا بحصول الواقعة فعلاً عند استعارة المثل اليها لينتج من الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار اليها (استعارة تمثيلية)، ولتمام الفائدة يمكن أن نأتي بمثل قرآنيٍّ تَنَازعه علماء البلاغة من القدماء والمعاصرين بالبحث والتحليل وجعله (استعارة تمثيلية) دون تحديد واقعة حقيقية تناسبه لأجل التوضيح ، وذلك في قوله تعالى: ((أُولئك على هُدىً من ربِّهم وأُولئكَ هُمُ المفلحون))[البقرة:٥]

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في معنى الاستعلاء في قوله تعالى: ((على هدىً)) : (مثلٌ) لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه ، وتمسكهم به. شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه؛ ونحوه: هو على الحق وعلى الباطل))[٢٥] .

وصرّح أبو الثناء الألوسي (ت١٢٧٠هـ) بقوله: ((قوله تعالى: ((على هدىً)) (استعارة تمثيلية تبعية): حيث شبهت حال اولئك – وهي تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به – بحال من اعتلى الشيء وركبه، ثم استعير للحال التي هي المشبه المتروك كلمة الاستعلاء المستعملة في المشبه به والى ذلك ذهب السّعد))[٢٦]

أما محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) فقال: قوله تعالى ((أولئك على هدىً من ربهم)) رجوع الى الإخبار عنهم بأن القرآن هدى لهم ،والإتيان بحرف الإستعلاء تمثيل لحالهم بأن شُبِّهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه، بهيئة الراكب في الإعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه ، فشبهت حالتهم المنتزعة من متعدد تشبيهاً ضمنياً دلّ عليه حرف الإستعلاء ؛ لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء.....فتكون كلمة ((على)) هنا بعض المركّب الدال على الهيئة المشبه بها على وجه الإيجاز ، وأصله: أولئك على مطية الهدى؛ فهي(تمثيلية تصريحية) إلاّ أن المصرح به بعض المركب الدال لا جميعه))[٢٧] .

ثم قال بعد كلام:((والذي أختاره في هذه الآية أن يكون قوله تعالى: ((أولئك على هدىً)) (استعارة تمثيلية) مكنية ، شُبِّهت الحالة بالحالة ، وحُذف لفظ المشبه به وهو المركب الدال على الركوب كأن يقال :راكبين مطية الهدى ، وأبقى ما يدل على المشبه وهو: (أولئك والهدى) ورَمزَ للمركب الدال على المشبه به بشيء من لوازمه وهو لفظ (على) الدال على الركوب عرفاً)).[٢٨]

– ثم أورد الألوسي في تفسيره ما دار من نزاع بين التفتزاني والجرجاني في تحليل هذا الجزء من الآية فقال: ((إن السيد أنكر اجتماع التمثيلية والتبعية، لأن كونها تبعية يقتضي كون كل من الطرفين معنى مفرداً ؛ لأن المعاني الحرفية مفرده ، وكونها تمثيلية يستدعي انتزاعهما من أمور متعددة وهو يستلزم تركبه. وأبدي في الآية ثلاثة أوجه:

الأول: أنها استعارة تبعية مفرده بأن شبَّه تمسك المتقين بالهدى ،باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للإستعلاء .

الثاني: أن يشبِّه هيئة منتزعه من: المتقي والهدى وتمسكه به، بالهيئة المنتزعة من : الراكب والمركوب واعتلائه عليه فيكون هناك (استعارة تمثيلية)تركب كل من طرفيها ؛ لكن لم يصرح من الألفاظ التي بإزاء المشبّه به إلاّ بكلمة (على) فإن مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وما عداه تابع له ملاحظ ضمن ألفاظ منوِيَّة وإن لم تقدر في نظم الكلام فليس في ((على)) إستعارة اصلاً بل هي على حالها قبل الإستعارة كما إذا صّرح بتلك الألفاظ كلها .

الثالث: أن يشبّه الهدى بالمركوب على طريق الاستعارة بالكناية ، وتجعل كلمة (على)قرينة لها على عكس الوجه الأول .

وهذا الخلاف بين الشيخين في هذه المسألة مما سارت به الركبان.......)).[٢٩]

ثم عقّب بآراء علماء البلاغة حول الموضوع ووافق التفتزاني فيما ذهب اليه في رأيه الذي ذكرناه آنفاً .

ـ وأدخل الطاهر بن عاشور نفسه حَكَماً في هذا النزاع فقال: ((وأطال السيد الجرجاني في ذلك في حاشيته للكشاف ، وحاشيته على المطول، كما أطال السعد التفتزاني في حاشيته عليهما، وتراشقا سهام المناظرة الحادة ، ونحن ندخل في الحكومة بين هذين العلمين بأنه لا نزاع بين الجميع أن الآية تشبيه أشياء بأشياء على الجملة ، حاصلة من ثبوت الهدى للمتقين، ومن ثبوت الاستعلاء على المركوب غير أن اختلاف الفريقين هو في تعيين الطريقة الحاصل بها هذا التشبيه ،فالأكثرون يجعلونها طريقة التمثيلية ؛ بأن يكون تشبيه تلك الاشياء حاصلا بالإنتزاع والتركيب لهيئة ، والسّيد يجعلها طريقة التبعية بأن يكون المشبه والمشبه به هما فردان من تلك الأشياء ؛ ويحصل العلم ببقية تلك الأشياء بواسطة تقييد المفردين المشبه والمشبه به.

ويجوز طريقة التمثيل وطريقة المكنية؛ فينصرف النظر هنا الى أيّ الطريقتين أرجح اعتباراً واوفى في البلاغة مقداراً ، والى أنَّ الجمع بين طريقتي التمثيلية والتبعية هل يعدّ متناقضاً في اعتبار القواعد البيانية كما زعمه السيد؟

تقرر في علم البيان أن أهله أشد حرصاً على اعتبار تشبيه الهيئة ، فلا يعدلون عنه الى المفرد مهما استقام اعتباره، ولهذا قال الشيخ في(دلائل الإعجاز)عند ذكر بيت بشار : كأن مثار النقع.....: ((قصد تشبيه النقع والسيوف فيه، بالليل المتهاوية كواكبه ،لا تشبيه النقع بالليل من جانب ، والسيوف بالكواكب من جانب، ولذلك وجب الحكم بأن اسيافنا في حكم الصلة للمصدر أي (مثار) لئلا يقع في تشبيهه تفرق، فإنّ نصب الأسياف على أن (الواو) بمعنى (مع) لا على العطف))[٣٠] وأضاف : إذا تقرر هذا تبين لديك أن للتشبيه التمثيلي الحظ الأوفى عند أهل البلاغة ، ووجهه: أن من اهم اغراض البلغاء وأولها باب التشبيه وهو أقدم فنونها ،ولا شك أن التمثيل أخصّ أنواع التشبيه ، لأنه تشبيه هيئة بهيئة فهو أوقع في النفوس وأجلى للمعاني.

ثم قال : ونحن نجد اعتبار التمثيلية في الآية أرجح؛ لأنها أوضح وأبلغ وأشهر وأسعد بكلام (الكشاف) .أما كونها أوضح فلأن تشبيه التمثيل منزع واضح لا كلفة فيه... بخلاف طريقة التبعية فإنها لا تفيد إلاّ تشبيه التمكن بالاستعلاء ثم يستفاد ماعدا ذلك بالتقييد. وأما كونها أبلغ فلأن المقام لما سمح بكلا الاعتبارين باتفاق الفريقين ؛ لاجرم كان أَوْلاهما بالإعتبار ما فيه خصوصيات أقوى وأعز. وأما كونها أشهر فلأن التمثيلية متفق عليها بخلاف التبعية. وأما كونه أسعد بكلام (الكشاف) فلأن ظاهر قوله : (مثّلٌ) أنه أراد التمثيل ...))[٣١] وفي تفسيره تفصيل مفيد فراجعه.

كل هذا النزاع والخصام والتماحك وتراشق سهام المناظرة الذي دار بين أعلام علماء البلاغة القدماء والمعاصرين حول (الاستعارة التمثيلية) في القرآن الكريم ؛ واستاذنا الفاضل الدكتور أحمد يقول في ختام بحثه عنها – بعد بيان تحديده الذي ذكرناه وهو: وجوب وجود واقعة جديدة تناسب معنى المثل ليكون (

استعارة تمثيلية) وإلا فلا – ما نصه : ((وبناءً على هذا فالقرآن الكريم يخلو من (الاستعارة التمثيلية) .))[٣٢] ؟! والله تعالى يقول : ((وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ في هذا الْقُرْءَآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)) [الزمر : ٢٧] و[الروم : ٥٨] ((وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ في هذا الْقُرْءَآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)) [الاسراء :٨٩] ((وَلَقَدْ صَرَّفْنا في هذا الْقُرْءَآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)) [الكهف:٥٤] ((وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ العَالِمُونَ)) [العنكبوت:٤٣] .

ـ وهذه الأمثال تؤول الى (الاستعارة التمثيلية) عند اعارة معناها مجازاً الى واقعة حقيقية أو مفترضة تتناسب والحال الذي تدل عليه ؛ ولا يشترط ان تكون الواقعة حقيقية. كما ذهب اليه الدكتور احمد الجبوري.

٢– أورد الدكتور أحمد ما ذكره الدكتور بسيوني عبدالفتاح : ((أن (الاستعارة التمثيلية) كثيرة الاستعمال في كلام العرب نثره وشعره ، وفي القرآن الكريم ، وفي الحديث الشريف، وكان في تحليله للاستعارة التمثيلية يمهد بافتراض حالٍ تكون (مشبَّها) ويكون المثل المستعار من كلام العرب (مشبّهاً به) مما يجعل الإستشهاد بالأمثال مقبولاً وموافقاً لمذهب القدماء والمعاصرين – وأورد الامثلة على ذلك .... وأضاف : أن الدكتور بسيوني لم يوفق في تحديد الآيات التي تجري مجرى المثل ، وأنه كان يذكر حالة مفترضة (حادثة جديدة) أمام التركيب الجاري مجرى المثل أو بعده ، وهذه الحالة المفترضة تجعل استخدام التركيب القرآني أو الحديثي فيها (كاستعارة تمثيلية) ممكناً . ثم اعترض الدكتور أحمد على ذلك في السطر نفسه بقوله : لكن هذا التمهيد كان مظنوناً أو مزعوماً أو مقحما في ما يبدو لنا .... إذ أن ذلك يجيز استعمال كل آيات القرآن الكريم وعبارات الحديث الشريف (استعارات تمثيلية) فهذا غير صحيح ؛ لأن التراكيب الجارية مجرى المثل في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف قد حددها العلماء ....))[٣٣] انتهى

إن ما ذهب اليه الدكتور بسيوني بافتراض الحادثة الجديدة الموافقة للمثل وعدم اشتراط وقوعها بشكل عام يعدُّ مخرجاً من المأزق الذي دخل فيه الدكتور أحمد ؛ ذلك لأن المستعار المعنى الكامن في المثل سواء كان آية كريمة أو حديثا نبوياً شريفاً أو مثلاً سائراً ؛ وعند افتراض واقع يناسب ذلك المعنى ، يستعار مركب المثل فيتحول تلقائياً من الهيئتين هيئة المثل المستعار منه (المشبه به) ، وهيئة الواقعة المفترضة المستعار له (المشبه) الى (استعارة تمثيلية) وذلك متاح لجميع البلغاء في جميع الأمثال ؛ إذ يمكنهم الافتراض دون انتظار واقعة فعلاً ، لذلك لا سبيل للاعتراض في جعل جميع الأمثال (استعارة تمثيلية) عند افتراض حدث مناسب للمعنى الكامن في المثل .

فضلاً عن أن استنباط الأحكام من تلك الأمثال القرآنية ، أو حاجة الخطباء و الوعّاظ الى إيصال مضامينها وما ترمي اليه الى المجتمع ، يستوجب تلك الإفتراضات لتوضيح مدلولاتها وتبويبها في الكتب

والمصنفات كأحد مصادر الثقافة الدينية ؛ وأن ما ذهب اليه الدكتور أحمد يعدّ تقييداً للباحثين والمحللين عند تناولهم المثل القرآني .

٣- لقد لجأ البلاغيون الى افتراض الوقائع التي تناسب المثل عند استعارته وضربه لزيادة توضيح المعاني والدلالات حوله ، وفي كتب البلاغة المطبوعة كثير من ذلك متاح لإطلاع الباحثين ، إلا أننا سنورد من المصادر المخطوطة ما يؤيد ذلك زيادة للفائدة ودعماً للبحث .

أ – مفتاح تلخيص المفتاح ، لشمس الدين محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي توفي نحو (٧٤٥هـ) ذكر في مخطوطه هذا ، بعد تعريفه للمجاز المركب قوله : ((كما أنك تجد إنساناً استُفتيَ في مسألة فيهُمُّ تارة باطلاق اللسان ليجيب ولا يهُمُّ أُخرى ، فتأخذ صورة تردده هذا وتُشبهُها بصورة تردد إنسان قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى ، ثم تدخل صورة تردد المفتي في جنس صورة تردد الانسان الذاهب للمبالغة في التشبيه قائلاً أراك أيها المفتي تقدم رجلاً وتؤخر أُخرى ، والمجاز المركب سمي (التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل))[٣٤] فالواقعة التي ضرب لها المثل مفترضة لقوله : (انسان استُفتي) وانسان نكرة .

ب – كتاب درر العبارات وغرر الإشارات في تحقيق معاني الإستعارات ، مخطوط لمؤلفه : الشيخ السيد أحمد بن محمد مكي الحموي الحسيني الحنفي (ت ١٠٩٨هـ) قال : ((وأما التحقيقية التمثيلية فأن يذكر اللفظ المركب الدال على المشبه به مراداً به المشبه المتحقق حساً أو عقلاً على طريق التمثيل كما يقال للمتردد في أمرٍ إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، وكما كتب الوليد بن يزيد ....))[٣٥] فالمشبه المتحقق عقلاً أي : (المفترض) الذي ذكره في قوله : ((يقال للمتردد)) إذ لم يحدده من هو ، والمشبه المتحقق حساً أي : (واقعا) هو تردد مروان بن محمد في البيعة للوليد. ولم يرجح بين حدوث الواقعة حساً أي: (فعلاً) أو عقلاً أي: (افتراضاً).

جـ - حاشية البوسنوي على العصام في الاستعارات ، مخطوط للمؤلف : أحمد بن حسين الرومي بوسنوي (ت ١١٧٥هـ) قال : ((المجاز المركب : الهيئة الحاصلة من ترتيب اجزائه بأن ينقل جملة من معناها الحقيقي وتستعمل في غير ما وضعت له مجازاً ، كقولنا فلان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ... استعير هذا التركيب واستعمل فيمن يتردد في فعل أمر ... والمجاز واقع في هيئة التركيب دون مفرداته فإنها باقية على معناها الحقيقي ، ويسمى هذا التجوز (بالاستعارة التمثيلية) ، وهي كثيرة في المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة كما في قوله تعالى : ((فكان قاب قوسين أو أدنى)) [النجم : ٩]))[٣٦] . نجده افترض (الواقعة) المشبه ولم يتقيد بانتظار وقوعها فعلاً.

د – رسالة في الاستعارات وما يتعلق بها وما يتبعها ، مخطوط لمؤلفه : أبو العرفان محمد بن علي المصري الحنفي المعروف بالصبان (ت ١٢٠٦هـ) قال : ((ثم المجاز المركب إن كانت علاقته المشابهة بين الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار لها فهو (استعارة تمثيلية) ويسمى بالاستعارة على سبيل التمثيل ، ... فإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سميت مثلاً ، ... مثال الاستعارة التمثيلية قولك للمتردد بين الإقدام على الأَمر والإحجام عنه : إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، أي : وتؤخر تلك الرجل تارة أخرى ؛ بمعنى تتردد في الإقدام والإحجام ... وقولنا : أي تأخر تلك الرجل تارة أخرى وهو ما ارتضاه المحقق العصام وغيره في معنى (المثل) ، وأما ما يظهر من العبارة من أن المراد وتؤخر أخرى فهو وإن جزم به السكاكي غير مستقيم لأن ذلك ليس هيئة المتردد ، نعم إن فسَّر الرجل بالخطوة كما صنع السعد في شرحه المفتاح استقام ذلك على ما فيه من المناقشة .))[٣٧] فقوله: (قولك للمتردد) جعل المشبه مجهول أي أنه (افترضه) ولم يكن واقعاً معلوماً.

تبين بعد عرض هذه الآراء لعلماء البلاغة القدماء والمعاصرين أنهم لم يتقيدوا في استعارة (الأمثال) لوقائع تحدث فعلاً لتكون (استعارة تمثيلية) ؛ وإنما لجأوا الى افتراض الحوادث لإظهار مدلولات تلك الأمثال وإبراز الصور البلاغية فيها لإغناء المتلقي بالعلوم والمعارف التي تنطوي عليها ، ولا شك في أن استعارتها لحوادث حصلت فعلاً أجدى وأشدُّ تأثيراً . ومن الله التوفيق .

الهوامش :

---

(١) جهود العلماء : ٢٦، دلائل الإعجاز : ٥٤ . ٥٥ ، ومثله في ٣٣٠ و ٣٣٨ . ٣٤١ .

(٢) جهود العلماء : ٢٦، دلائل الإعجاز : ٣٣٧ ، وأسرار البلاغة : ٢٢٢. ٢٢٧ .

(٣) جهود العلماء : ٢٦، دلائل الإعجاز : ٣٣٨. ٣٣٩ .

(٤) جهود العلماء : ٢٦، دلائل الإعجاز : ٣٣٨. ٣٣٩ .

(٥) نهاية الايجاز : ١١٣.

(٦) نهاية الايجاز : ١١٤.

(٧) مفتاح العلوم : ١٧٧.

(٨) الايضاح : ٢/ ٣٣٨.

(٩) الايضاح : ٢/ ٣٤٥.

(١٠) التبيان : ٢٤٠ . ٢٤٤.

(١١) جهود العلماء : ٥١ ومعجم المصطلحات البلاغية : ١/ ١٤٢.

(١٢) جهود العلماء : ٧٦ ، من عنوانات الدكتور أحمد الجبوري .

(١٣) الاستعارة التمثيلية ، منير القاضي : ٤، ٦ ،كما ورد في هامش جهود العلماء : ٦٧.

(١٤ ، ١٥) الاستعارة التمثيلية ، منير القاضي : ٤، ٦ ،كما ورد في هامش جهود العلماء : ٦٧.

(١٦)- جهود العلماء:٦٧.

(١٧)- جهود العلماء:٦٩-٧٠.

(١٨) ينظر جهود العلماء : ٧١.

(١٩)- جهود العلماء:٧٦

(٢٠)- ينظر جهود العلماء:١١٠- ١١٢

(٢١)- ينظر دلائل الإعجاز:٣٣٧.

(٢٢) نهاية الإيجاز:١١٤.

(٢٣) مفتاح العلوم:١٧٧.

(٢٤) الايضاح:٢/٣٣٨.

(٢٥) تفسير الكاشف : ١ | ١٤٤.

(٢٦)- تفسير روح المعاني:١/١٢٤.

(٢٧)- تفسير التحرير و التنوير:١/٢٤٢

(٢٨) تفسير التحرير و التنوير:١/٢٤٥

(٢٩) تفسير روح المعاني:١/١٢٤

(٣٠)- ينظر دلائل الإعجاز:٤١١-٤١٥

(٣١) تفسير التحرير والتنوير : ١/٢٤٣.٢٤٥.

(٣٢) جهود العلماء : ١١١.

(٣٣)- جهود العلماء : ٩٨- ١٠٠.

(٣٤)- مفتاح تلخيص المفتاح | مخطوط : ١٩٠.

(٣٥) كتاب درر العبارات وغرر الاشارات ، مخطوط : ٦٢.

(٣٦). حاشية البوسنوي على العصام في الاستعارات ، مخطوط : ٥٥.

(٣٧) رسالة في الاستعارات للصبان – مخطوط : ٦٦- ٦٧.

المصادر المطبوعة :

١. الاستعارة التمثيلية ، بحث من إعداد منير القاضي ، منشور ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٧ لسنة ١٩٦٠. كما ورد في جهود العلماء

٢. أسرار البلاغة : أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت ٤٧١-٤٧٤هـ) تصحيح محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

٣. الايضاح في علوم البلاغة : أبو عبدالله جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) شرح وتعليق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ط٤ ، بيروت . لبنان ، ٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

٤. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : شرف الدين الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ، تحقيق الدكتور هادي مطر الهلالي ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة النهضة العربية ط١ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

٥. التحرير والتنوير : الاستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) دار سحنون تونس ، ١٩٩٧م .

٦. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ . ٥٣٨هـ) مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٦٦م .

٧. جهود العلماء (القدماء والمحدثين) في تحديد مصطلح الاستعارة (المفردة) و(التمثيلية) في القرآن الكريم : الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري ، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

٨. دلائل الاعجاز : عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١. ٤٧٤هـ) ، تصحيح محمد رشيد رضا والشيخ محمد محمود الشنقيطي دار المعرفة . بيروت لبنان ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م . والأخرى تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٤١٣. ١٩٩٢م .

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

١٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

١١. مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، تصحيح أحمد سعد علي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٣٧م .

١٢. نهاية الإيجاز : فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ) ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور محمد بركات ، دار الفكر للنشر ، عمان ، ١٩٨٥م .

المصادر المخطوطة :

١. حاشية البوسنوي على العصام في الاستعارات : أحمد بن حسين الرومي البوسنوي (ت١١٧٥هـ) ، رقم المخطوط ٤١٤/١٦ مكتبة المسجد النبوي الشريف.

٢. درر العبارات وغرر الاشارات في تحقيق معاني الاستعارات : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد مكي الحسيني المصري الحنفي (ت ١٠٩٨هـ) ، رقم المخطوط ١١٥/٨(٢) مكتبة المسجد النبوي الشريف.

٣. رسالة في الاستعارات وما يتعلق بها وما يتبعها : أبو العرفان محمد بن علي المصري الحنفي المشهور بالصبان (ت١٢٠٦هـ) ، رقم المخطوط ٤١٤/٣٢ مكتبة المسجد النبوي الشريف.

٤. مفتاح تلخيص المفتاح : شمس الدين محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي (ت نحو ٧٤٥هـ) ، رقم المخطوط ٤١٤/٢٥ مكتبة المسجد النبوي الشريف.